الإيجاز والإعجاز في اللُّغة العربيَّة

(فنّ التَّوقيعات نموذجًا)

د. قحطان صالح الفلاح

قسم اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الفرات

ملخّص البحث

التَّوقيعات فَنٌّ أدبيٌّ كتابيّ وليس بشفاهيّ، اتّسمَت بالإيجاز والبلاغة ومتانة السَّبك وعُمق المعنى وحضور البديهة. وهي تعليقٌ على الرّسائل الدّيوانيّة بما يُناسبها. وقد ألفينا بعضًا منها منذ عصر صدر الإسلام، وكثيرًا منها في العصر الأموي. إلا أنّ العصرَ العبّاسيَّ الأوّلَ فسحَ لها في المجال، فكثُرت كثرةً غامرة؛ لازدهار الكتابة الدّيوانيّة عصرئذٍ. وكانت مثالاً يُحْتذى في الإيجاز والإعجاز، حتَّى إنَّ بعضَها كان يُباعُ بيعًا؛ لما فيه من فنون البلاغة وأفانينها. وقد احتفت مصادرُ الأدب بالتَّوقيعات، فرَوَتْ لنا عددًا وفيرًا منها، ولا سيّما كتاب العقد لابن عبد ربّه، وكتاب الوزراء والكتّاب للجهشياريّ، وخاصّ الخاصّ للثّعالبيّ، وصُبح الأعشى للقلقشنديّ، وغيرها. وهذا البحث يعرضُ لهذا الفنِّ الأدبيِّ، ونشأتِه، وأعلامِه، ونماذجَ منه في عصور العربيّة الزَّاهرة، وبعضِ سماتِه ومزاياهُ الأسلوبيّة.

أوّلاً: الإيجاز في اللُّغة العربيَّة:

من المعلوم أنَّ من بدائعِ اللُّغة العربيَّة وطرائفِها التي لا تكاد تُحصَى أنَّها لغةُ إيجاز، والإيجازُ جمعٌ للمعانِي الكثيرة بالألفاظِ القليلة[1]. وقيل: «الإيجاز دلالة اللَّفظ على المعنى من غير أن يزيد عليه»[2]. وقيل: «البلاغةُ قولٌ يسيرٌ يشتملُ على معنًى خطير. وهذا مثلُ قول الآخر: البلاغةُ حكمةٌ تحتَ قولٍ وجيز. وقول الآخر: البلاغةُ علمٌ كثيرٌ في قولٍ يسيرٍ»[3]. وعرَّفهُ الرُّماني بشيءٍ من التَّفصيلِ فقَال: «الإيجازُ تهذيبُ الكلامِ بِمَا يحسنُ بهِ. والإيجازُ تصفيةُ الألفاظِ من الكَدَرِ، وتخليصُهَا من الدَّرَنِ. والإيجازُ البيانُ عن المَعنَى بأقلِّ ما يُمكِنُ من اللَّفظِ. والإيجازُ إظهارُ المَعنَى الكَثيرِ باللَّفظِ اليَسيرِ»، فإذَا «كانَ المَعنَى يُمكِنُ أَن يُعَبَّرَ عَنهُ بألفاظٍ كثيرةٍ، ويُمكِنُ أَن يُعَبَّرَ عنهُ بألفاظٍ قَليلةٍ، فالألفاظُ القَليلَةُ إيجازٌ»[4]. فكلَّما قلَّت الكلماتُ، مع الإبانَةِ والإفصاحِ، وعبَّرت عن المَعنَى المُرَادِ تعبيرًا دَقيقًا مُوحيًا كانَت أقربَ إلى البلاغَةِ.

وحاصِلُ ما سبقَ من تعريفِ الإيجازِ أنَّ مدلولَهُ واحِدٌ، وهوَ التَّعبيرُ عن المَعانِي الكَثيرَةِ بألفاظٍ قَليلَةٍ، وَهُنَا مكمَنُ البلاغَةِ، أعنِي اللّمحَة الدَّالَّة واجتلاب المعانِي الغَزيرَة بألفاظٍ قَليلَةٍ وَجيزَة، فلا يُعَدُّ الإيجازُ بلاغَةً إلا إذَا كانَ المَعنَى فيهِ واضحَاً عَميقًا دالاًّ بَعيدًا عن التَّكلُّفِ والغُموضِ، فليسَ المَقصُود قلَّة عَددِ الحروفِ والكلمَاتِ فقط، بَل ما يحملهُ اللَّفظُ من المَعانِي والأفكارِ، ولا يصحُّ استعمَالُ الإيجازِ في موضعِ الإطنابِ، ولا الإطناب في موضِع الإيجازِ، فكلاهُمَا بلاغَةٌ في موضعهِ.

---

(1) انظر: الحيوان، للجاحِظ عمرو بن بحر، تح: عبد السلام هارون، مكتبة مصطفى البابي الحلبي وشركاه بمصر، ط2، 1385هـ/1965م، 86/3.

(2) المَثَل السّائر في أدب الكاتب والشاعر لضياء الدِّين بن الأثير، تح: أحمد الحوفي وبدوي طبانة، مكتبة نهضة مصر، القاهرة، ط1، 1379هـ/1959م، 232/2.

(3) كتاب الصّناعتين، لأبي هلال العسكري، تح: علي البجاوي ومحمّد أبو الفضل إبراهيم، عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة، ط1371،1هـ/1952م، ص37.

(4) النُّكَت في إعجازِ القرآن، لأبي الحسن الرُّماني، تح: محمد خلف الله أحمد، محمد زغلول سلام، دار المعارف، مصر، ط3، 1976م، ص80.

وقد كانت العرَبُ قَديمًا تَميلُ إليهِ وَتُحَبِّذُهُ في كلامِهَا وأدبِهَا، بَل كانَ الإيجاز عندَهُم أساس بلاغَتِهم، ومجلَى إبداعهِم وفصاحتِهِم، حتَّى قيلَ: «خيرُ الكلامِ ما قلَّ ودلَّ»، وقيل: «البلاغَةُ في الإيجازِ». وسَألَ مُعَاويَةُ صُحَارَ بنَ عَيَّاش العبديّ (وكان خطيبًا مُفَوَّهًا، وعلاّمة نسّابة، ت نحو 40 هـ): «ما تعدُّون البلاغَةَ فيكم؟ قالَ: الإيجاز. قال له معاويةُ: وما الإيجاز؟ قال صُحَارُ: أنْ تُجيبَ فلا تُبْطِئ، وتقولَ فلا تُخْطِئ. فقال له معاويةُ: أوَ كذلكَ تقولُ يا صُحَار؟ قالَ صُحَارُ: أَقِلْني يا أميرَ المؤمنين، ألاّ تُبْطِئ ولا تُخْطِئ»(5). ومن الواضِح أنَّه أوجَزَ وأعجَز في وقتٍ معًا.

وقد وصلَت إلينَا أقوالٌ كثيرة لِبلغاءِ العرَبِ وأُدبائِهم تشيدُ بالإيجازِ وتدعو إليهِ، بل كانَ سجيَّةً في كلامِهِم، وهذا ما بدَا واضحًا في أمثالِهِم السَّائرَة، وحِكَمهم الدَّائِرَة، وَخُطبِهِم الذَّائعَة، بل إنَّهُم جعلوا الشِّعر أبياتًا قائمةً بذاتِهَا، وقد تعدَّدَت دوافِعُهُم إلى المَيلِ إليهِ، وتفضيلِهِ على الإسهابِ والإطنابِ، ولعلَّ أهمَّ سببٍ إلى ذلكَ هوَ سُهولَةُ الحفظِ، يقولُ أبو عَمرو بن العلاءِ (ت 154هـ)، وقد سُئِلَ: «هَل كانَت العرَبُ تُطيلُ؟ فقال: نعم ليُسمعَ منها، قيل: فهل كانت تُوجز؟ قال: نعم، لِيُحفَظَ عنهَا»(6). فضلاً عن أسبابٍ أُخرَى؛ كضيقِ المقامِ، وطبيعَة الحياة العربيَّة في الجاهليَّة القائِمَة على التّرحَالِ وعدَمِ الاستقرارِ، وعدم انتشارِ الكتابَةِ إلاَّ في الأقلِّ النَّادِرِ.

وحسبُ العربيَّةِ شرفًا أنَّهَا لغةُ التَّنزيلِ الحَكيمِ ﴿**بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِيْنٍ**﴾ [سورة الشعراء: 194/26]؛ ليكونَ واضِحَ الحُجَّةِ قاطعًا للعُذرِ ﴿**غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَعَلَّهُم يتَّقُونَ**﴾ [سورة الزمر: 28/39]. وقد جاءَت كثيرٌ من آياتِهِ البيّنَاتِ غايةً في الإيجازِ والإعجازِ، حتَّى لا تكاد تُعَدُّ أو تُحْصَى، كقوله تعالَى: ﴿**خُذِ العَفْوَ وأمُرْ بالعُرْفِ**

(5) البيان والتّبيين، للجاحِظ عمرو بن بحر، تح: عبد السلام هارون،، مكتبة الخانجي بالقاهرة، 1418هـ/1998م، 96/1.

(6) أدب الكتّاب، لأبي بكر محمد بن يحيى الصوليّ، عُني بتصحيحه: محمد بهجة الأثري، المكتبة العربية ببغداد، 1341هـ، ص229.

وَأَعْرِضْ عَنِ الجاهِلِيْنَ﴾ [سورة الأعراف: 199/7]، فَهذهِ الآية جمعَت مكارِمَ الأخلاقِ كما قيلَ. وفي جوامِعِ الكَلِمِ للرَّسُولِ صلَّى الله عليهِ وسلَّم أمثلَةٌ تَتْرَى على الإيجازِ، وما فيهِ من بيانٍ وجمالٍ سَاحرٍ، ومعنًى بليغٍ.

وقد قسَّم البلاغيُّونَ الإيجازَ إلى قسمين: إيجاز قَصْرٍ وإيجاز حَذْفٍ، ولسنا بصَددِ الحَديثِ عنهما، فقد أفاضَت المَصادِرُ في ذلكَ. وكثيرٌ من التَّوقيعات فيهَا إيجازُ قَصرٍ، وهوَ كما عرَّفَهُ أبو هلالٍ العَسكريّ (ت395هـ): «تَقليلُ الألفاظِ وتَكثيرُ المَعانِي»[7].

وفي فنِّ التَّوقيعات تتجلَّى الفِطْرةُ العربيَّة من خلالِ الإيجازِ اللّفظِيِّ الفصيح، والإعجازِ البلاغِيِّ البوَّاح في أبهى صورهما وأجمل حُللهما.

ثانيًا: فنّ التَّوقيعات:

1- تمهيد في الكتابة الدِّيوانيّة:

لا بدّ بدايةً من الإشارة إلى الكتابة وازدهارها في الدّولة الإسلامية ولا سيّما في العصر العبَّاسيّ الأوّل؛ وذلك لأنَّ التَّوقيعات فنٌّ أدبيٌّ كتابيّ، ارتبط بالكتابة الدّيوانيّة منذ ازدهارها وشيوعها. بل إنّه وُلِدَ من رَحِم التَّرسّل الدّيوانيّ؛ إذ هو أصلاً تعليقٌ على الرّسائل الدّيوانيّة بما يناسبها. وقد كان للتوقيع ديوانه الخاص في العصر العبَّاسيّ الأوّل، ومهمّته النَّظر في المظالم ورِقاع الشّكاوى.

ومن المعلوم أنَّ الكُتَّاب . ومعظمهم كتبوا توقيعاتٍ ورسائلَ عن الخلفاء، واشتُهروا ببلاغتهم فيها، وخاصّة في العصر العبَّاسيّ الأوّل . كانوا أصحاب منزلة عليّة، ومكانة سامقة، حتّى قيل: إنَّ الكتابة «أشرفُ مراتب الدُّنيا بعد الخلافة»[8]، والمقصود الكتابة في دواوين الدّولة؛ نظرًا لمكانة الكُتّاب المتميّزة في إدارة سياسة

(7) الصناعتين، 175.

(8) العقد الفريد، لأبي عمر أحمد بن محمّد بن عبد ربّه الأندلسيّ، شرحه وضبطه: أحمد أمين وأحمد الزين وإبراهيم الأبياري، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ط2، 1363هـ/1944م، 179/4.

الدَّولة وتوجيهها أحيانًا، يقول عبد الحميد الكاتب (ت 132هـ) مُخاطبًا الكُتَّاب: «بكم تنتظمُ للخلافة محاسنُها، وتستقيمُ أمورُها، وبنصائحكم يُصْلح الله للخَلْق سُلطانَهم، وتعمُرُ بلدانُهم، ولا يستغني المُلْك عنكم، ولا يوجدُ كافٍ إلاّ منكم، فموقعُكم من المُلوك موقعُ أسماعهم التي بها يسمعون، وأبصارهم التي بها يُبْصرون، وألسنتهم التي بها ينطقون، وأيديهم التي بها يبطشون»[9].

والدِّيوانُ – كما يذكر القلقشنديّ (ت 821هـ) –: «اسمٌ للموضع الذي يجلس فيه الكُتّاب»[10]، وقد أصبح ـ في الاصطلاح ـ يُشير إلى المكان الذي يتمّ فيه النَّظر في شؤون الدَّولة. ومع انتشار الإسلام واتساع رقعة الدَّولة الإسلاميّة، تعدّدت الدّواوين، وتفرَّعت مهامُّها وتخصصاتُها من أجل تصريف شؤون الدَّولة.

وقد فصَّل العلماءُ القول في الأمور التي ينبغي أن يتَّصفَ بها مَن يرومُ صناعة الكتابة، أو ما يُعرف بآلات البيان وأدواته ـ بحسب تعبيرهم ـ وكانت رسالة عبد الحميد الكاتب من أوّل ما صُنّف في هذا الباب؛ أعني ثقافة الكُتَّاب[11]، وأتى من بعده خَلَفٌ آخرون، كان القلقشنديّ أكثرهم استيعابًا وشُمولاً في موسوعته (صُبْح الأعشى في صناعة الإنشا).

---

(9) مقدّمة ابن خلدون، عبد الرَّحمن بن خلدون، تصحيح وفهرسة: السعيد المندوه، مؤسسة الكتب الثَّقافيّة ـ بيروت، المكتبة التجاريّة ـ مكّة المكرمة، ط3، د.ت، 262/1. صُبح الأعشى في صناعة الإنشا، أحمد بن علي القلقشندي، شرحه وعلّق عليه وقابل نصوصه: محمّد حسين شمس الدِّين ويوسف علي طويل، دار الكتب العلميّة، بيروت، د.ت، 118/1. (وهي المرادة عند الإطلاق)

(10) صبح الأعشى 123/1. وثمّة معانٍ أخرى للدّيوان في معجمات اللغة، انظر: لسان العرب، مادة: دَوَن.

(11) انظر: كتاب الوزراء والكتّاب، لمحمّد بن عبدوس الجهشياري، تح: مصطفى السقّا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ شلبي، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، القاهرة، ط1، 1357هـ/1938م، ص74–79. والمقدمة 262/1–265. وصبح الأعشى 118/1–122. ورسائل البلغاء (اختيار وتصنيف: محمّد كرد علي)، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ط3، 1365هـ/1946م، ص222–226.

وقد نبّه ابنُ الأثير (ت 637هـ) على أنَّ الكاتب ينبغي أن يتعلّقَ بكلّ عِلْم، بخلافِ النَّحْويّ، أو الفقيه أو المُتكلّم. وممّا يجدر بالكاتب . عنده . الإلمام بالعربيّة، وعلم اللّغة، وأمثال العرب، وأيّامها، والأحكام السُلطانيّة في الإمامة والإمارة والقضاء والحِسْبة وغير ذلك، وحِفْظ القرآن الكريم، والحديث الشّريف، ثمّ خلُص إلى القول: «وبالجملة؛ فإنّ صاحبَ هذه الصِّناعة يحتاجُ إلى التَّشبُّث بكلِّ فنٍّ من الفنون، حتَّى إنَّه يحتاجُ إلى معرفةِ ما تقولُه النَّادبةُ بين النِّساء، والمَاشِطَةُ عند جِلْوَةِ العَرُوسِ، وإلى ما يقوله المُنادي في السُّوقِ على السِّلعةِ، فما ظنُّكَ بما فوقَ هذا ؟ والسَّببُ في ذلك أنَّه مُؤهّلٌ لأن يهيمَ في كلِّ وادٍ، فيحتاج أن يتعلَّقَ بكلِّ فنٍّ»[12]. فلم يكن الوصول إلى مرتبة الكاتب بالسّهل المُرتقى؛ إذ لا بدَّ للمرء أن يكون موسوعيَّ المعرفة، غزير العلم، جمّ الثَّقافة، وقد كان الكاتب يُمتحن امتحانًا دقيقًا، تتبدّى من خلاله معرفته الأدبيّة واللغويّة والفِكْريّة.

ويمكن القول: إنَّ العلاقة بين صَنْعة الكتابة– والتَّوقيعات من صميمها– وإدارة شؤون الدَّولة علاقة جدليّة، أو بالأحرى علاقة وثيقة؛ إذ «كان ديوان الإنشاء [الرَّسائل] تارةً يُضاف إلى الوِزارة، فيكون الوزير هو الذي ينفذ أموره بقلمه، ويتولّى أحواله بنفسه، وتارةً يُفرد عنه بكاتب ينظر في أمره، ويكون الوزير هو الذي ينفذ أموره بكلامه، ويصرّفها بتوقيعه على القِصص ونحوها، وصاحب ديوان الإنشاء يعتمد ما يَرِدُ عليه من ديوان الوِزارة، ويمشي على ما يُلقى إليه من توقيعه، وربّما وقّع الخليفة بنفسه حتَّى بعد غلبة ملوك الأعاجم من الدَّيلم وبني سلجوق وغيرهم على الأمر. والأمر على ذلك تارةً وتارةً إلى انقراض الخلافة من بغداد»[13].

2– التَّوقيع لغةً واصطلاحًا:

التَّوقيع – في اللّغة – أن يصيبَ المطرُ بعضَ الأرضِ ويخطئَ بعضَها، ومواقع الغيث: مساقطه. ووقّع ظنَّه على الشّيء: قدّره وأنزله. والأَثَرُ الذي يتركه الرّحلُ

(12) المثل السّائر في أدب الكاتب والشاعر 73/1. وانظر: 40/1–73.

(13) صبح الأعشى 127/1.

على ظهر البعير من الدَّبَرِ، وبعيرٌ موقّع الظَّهر: به آثار الدَّبَر، وكذلك الموقِّع يؤثّر في الكتاب حِسًّا أو معنى.

وذكر القلقشنديّ عن غيره (ابن حاجب النّعمان في ذخيرة الكُتَّاب) أنَّ التَّوقيع في كلام العرب: التَّأثير القليل الخفيف؛ يُقال: جَنْب هذه النَّاقة مُوَقَّع إذا أثّرت فيه حبالُ الأحمال تأثيرًا خفيفًا. وحُكِيَ أنَّ أعرابيَّةً قالت لجارتها: «حديثُك تَرْويع، وزيارتُك تَوْقيع»؛ تريد أنّ زيارتها خفيفة. كما قال القلقشنديّ: يُحتمل أن يكون من قولهم: وَقَعَ الأمرُ إذا حقَّ ولزِم. ومنه قوله تعالى: ﴿**ووَقعَ القَوْلُ عَلَيهم بِمَا ظَلَمُوا**﴾؛ أي حقَّ [سورة النمل:85/27]. أو من الوَقْعة: وهي المكان المرتفع في الجبل؛ لارتفاع مكان المُوَقِّع في النَّاس وعُلُوِّ شأنه(14).

وقيل: التَّوقيع مُشْتَقٌّ من الوقوع؛ لأنّه سَبَبٌ في وقوعِ الأمرِ الذي تضمّنه، أو لأنّه إيقاع الشّيء المكتوب في الخطاب أو الرّسالة، فتوقيع كذا بمعنى إيقاعه؛ لأنَّه تأثيرٌ في الكتاب، أو لأنّه سببُ إنفاذ الأمر ووقوعه، من قولهم: أوقعتُ الأمرَ فوقع. وله معانٍ لغويّة أخرى(15).

ثمّ اكتسب المعنى الاصطلاحيّ الذي نحنُ بصَدَدِه؛ وهو التّعليقُ على الرّسائل الواردة إلى الدّيوان، وبيان رأي وليّ الأمر، أو مَنْ يمثّله من الوزراء والكُتَّاب . سياسيًّا وإداريًّا . في قضيةٍ ما. بتعبيرٍ آخر: تلك العباراتُ أو الجملُ البليغةُ الموجزة المعبّرة التي يكتبها رجالُ الدّولة، أو مَن يكتبُ عنهم، على ما يُرفع إليهم من شِكايات وقضايا، مُتضمِّنةً ما ينبغي اتخاذه نحوها. وهي بهذا المعنى أشبهُ ما تكون بتوجيه المعاملات الرّسميّة (التّأشيرات) في وقتنا الحاضر. ثمّ توسّعوا في معناها فأصبحت تدلّ على تأشيرة الاسم، وهي كتابته بتلك الهيئة الخاصّة التي تُقابل في الإنجليزية لفظة (Signature).

(14) انظر: صبح الأعشى، ط دار الكتب المصرية بالقاهرة، 1340هـ/1922م، 52/1-53.

(15) انظر: لسان العرب، مادة: وقع .

ويكون التَّوقيع . عادةً . في أسفل الرّسالة، وفي بعض الأحيان خلفها أو في أعلاها، بِمِدَادٍ مُغَايرٍ للونِ الكتاب أو الرّسالة؛ جوابًا على ما يكتبُه رعايا الدّولة، فيما يَحْزُبُهُمْ مِن خُطوب، وما يَعْرُوهم من مَظالم، ويكون الرَّدُّ أمرًا أو نَهْيًا، ترغيبًا أو ترهيبًا، بَذْلاً أو مَنْعًا.

3- نشأة التَّوقيعات وموضوعاتها:

لم يعرف العرب فنّ التَّوقيع في الجاهليَّة؛ لعدم شيوع الكتابة آنذاك، ثمّ عرف العربُ التَّوقيع، ووصلت إلينا بعضُ توقيعاتهم، منذ أيّام الفاروق عمر بن الخطاب ﷺ. ثمّ توسّعوا في هذا الفنّ في العصر العبّاسيّ الأوّل، وأضحى مهنةً لها أربابُها وديوانها الخاصّ، وقد هيّأت لذلك ظروفُ العصر المختلفة. ولا رَيبَ في أنّ التَّوقيع أسلوبٌ تعبيريّ يتّفق وخصائص الفِطرة العربيّة، من حيث الإيجاز، وقوّة البيان، وشدّة العارضة، وسرعة الخاطر، وحضور البديهة. وهي مصوغة بلسانٍ عربيٍّ مُبين وألفاظٍ عربيّة فصيحة، بل إنّ كثيرًا منها مُقتبسٌ، في كثيرٍ من الأحيان، من القرآن الكريم، والشعر العربي الفصيح، وأمثال العرب.

وكانت عادةً دَرَجَ عليها ملوكُ الفُرس في سالف الأوان؛ إذ عُرف كثير من أكاسرتهم ووزرائهم بتوقيعاتهم البليغة المعبّرة؛ من مثل أردشير، وأنوشروان، وبُزُرجمهر، وغيرهم. وقد روت مصادرُ التّراث العديدَ منها مُترجمًا إلى العربيّة.

فالتَّوقيعات إذن فَنٌّ أدبيٌّ كتابيّ وليس بشفاهيّ، وإن شابهَت بعضَ الحِكَم أو الأمثال أو الأقوال، من حيث الإيجاز والبلاغة ومتانة السّبك وما إلى ذلك، لكنّها ليست توقيعات؛ لأنّها شفاهيّة، ولأنّها ليست كما بيّنا سابقًا. فهي تعليقٌ على الرّسائل الدّيوانيّة بما يناسبها. وقد كان للتّوقيع ديوانه الخاصّ في العصر العبّاسيّ الأوّل، كما قلنا، يُعرف بديوان التَّوقيع؛ ومهمّته النّظر في المظالم ورِقاع الشّكاوى. يقول ابن خلدون (ت 808هـ): «ومِنْ خُطَطِ الكتابةِ التَّوقيع؛ وهو أنْ يجلسَ الكاتبُ بين يَدَي السّلطان في مجالسِ حُكْمه وفَصْلِهِ، ويُوَقِّعَ على القِصَصِ المرفوعةِ إليهِ أحكامُها، والفَصْلُ فيها مُتَلَقَّاةً مِن السّلطان بأَوْجز لفظٍ وأبلغِه. فإمَّا أن تَصْدُرَ كذلك، وإمّا أن

يَحْذُو الكاتبُ على مِثَالِها في سِجِلٍّ يكون بيدِ صاحب القِصَّةِ. ويحتاجُ المُوَقِّعُ إلى عارضةٍ من البلاغةِ يَسْتَقيمُ بها توقيعُه»[16].

وتُسمّى هذه الظُلامات والشّكاوى بالرِّقاع؛ تَشْبيهًا لها بِرِقَاع الثّوب، كما تُسمّى بالقِصَصِ على سبيل المجاز؛ من باب تسمية الشّيء بما ينطوي عليه؛ إذ تحكي قصّةَ الشّاكي وظُلامتَه. «ولم تزل كتب الملوك والرؤساء تجري في التَّوقيعات على أن يوقّع الرّئيس في القِصّة بما يجب فيها، ويذكر المعاني التي يأمر بها. ولم يكن للكُتّاب في ذلك الأمر شيءٌ أكثر من أن يكتبوا لتلك الجملة من التَّوقيع ألفاظًا تشرحها، ويقرُبُ من العامّة فَهْمُها، ولا تخرجها عن معنى قصد الرّئيس، إلى أيام الرّشيد...»[17].

وممّا لا يخفى على ذي نَظَر، أنّ الموضوعات التي عرضت لها التَّوقيعات كانت في كثيرٍ من الأحيان سياسيّة أو إداريّة؛ أي تُعنى بقضايا تمسّ سياسة الدّولة ونظمها الإداريّة، على نحوٍ مباشر أو غير مباشر؛ إذ هي موجّهة إلى أولي الأمر، أو من يقوم مقامهم. فمن موضوعات التَّوقيعات ما يخصّ الولاة والعمّال، من حيث تعيينهم وعَزْلهم، أو الشَّكَاة منهم، أو الرّضا عنهم. ومنها ما يخصّ حِبَاء السّلطان واستمناحه، وما إلى ذلك من موضوعات وقضايا، لها أثرٌ بيّنٌ في الكشف عن سياسة الدّولة، وكيفيّة التّعامل مع الأحداث والقضايا الإداريّة والاقتصاديّة والاجتماعيّة.

4- التَّوقيعات في صدر الإسلام:

مرَّ بنا أنَّ العربَ لم يعرفوا فنّ التَّوقيعات لعدم شيوع الكتابة وانتشار المراسلات أو المكاتبات الرسميّة خاصّة، ولعلَّ أوّلَ توقيعٍ وصل إلينا ما وقّع به أبو بكر الصّدّيق رضي الله عنه؛ إذ كتب لخالد بن الوليد رضي الله عنه، وقد طلب أمره

(16) مقدمة ابن خلدون 261/1.

(17) الوزراء والكتّاب، ص210.

في شأن العدوّ: «ادنُ من الموت تُوهَبْ لكَ الحياة»[18]. والخليفة ههنا يحثّ المجاهدين على القتال الذي يقهر العدوّ فيولّي الدّبر هاربًا، فتكون الحياة لهم، والموت أو الهزيمة للعدوّ، كما قالت العربُ: (القتلُ أنفى للقتل). وكذلك يدلّ التَّوقيع على الحثّ على بذل النَّفس، والزُّهد في الدُّنيا، في سبيل إعلاء كلمة الله، والاستشهاد في سبيله؛ ومن ثَمَّ الظّفر بالشّهادة، والحياة السّرمديّة الدائمة.

ثمّ شاعت التَّوقيعات في عهد عمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم؛ لشيوع الكتابة والمُراسلات، بعد انتشار الإسلام في أرجاء واسعة من المعمورة، لتبليغ أوامر الخلفاء وتوجيهاتهم إلى ولاة الأمصار والقادة. ومن الأمثلة في عهد عمر رضي الله عنه ما وقّع به إلى سعد بن أبي وقّاص رضي الله عنه، ردًّا على كتابٍ له يستأذنه فيه ببناء دار الإمارة، فوقّع عمر: «ابنِ ما يستر من الشَّمس، ويكنّ من المطر»[19]. وفي هذا التَّوقيع إيجاز حذفٍ؛ إذ التَّقدير: ابن ما يسترك من أشعة الشمس وحرّها ولظاها، ويقيك من المطر وبَرْده. وفي عهد عثمان رضي الله عنه تظلّم قومٌ من مروان بن الحكم، فوقّع: ﴿**فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّي بَرِيْءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ**﴾ [سورة الشعراء:216/26][20].

ومن توقيعات عليّ رضي الله عنه توقيعه بمَثَلٍ سائرٍ إلى طلحة بن عبيد الله، وهو: «في بيته يُوتى الحَكَم». ووقّع في كتابٍ جاءه من الأشتر النَّخَعيّ، فيه بعضُ ما يكره: «مَنْ لكَ بأخيك كلِّه»[21].

وتوقيعاتُ هذا العصر قليلة جدًّا قياسًا لما وَصَلنا في العصور اللاحقة، وذلك لارتباطها بالكتابة والمُراسلات، كما قلنا، ولأنَّ الخلفاء الرَّاشدين لم يكونوا يحتجبون عن الرَّعيّة ويجلسون للمظالم، هم وقُضاتهم ووُلاتهم، فكانوا يَحْسمون الشَّكاوى والمُنازعات

18() خاص الخاص، عبدالملك الثعالبيّ، علّق عليه: مأمون الجنان، دار الكتب العلمية، بيروت، 1414هـ/1994م، ص 126.

(19) المصدر نفسه، ص126.

(20) العقد 206/4.

(21) العقد 206/4

والقضايا مُشَافهة لا كتابة في كثيرٍ من الأحوال. وعلى الجُمْلة اتّسمت توقيعاتُهم ببلاغة الأداء، ووجازة التَّعبير، ومُوافقتها لمقتضى الحال.

5- التَّوقيعات في العصرِ الأمويّ:

وقد كَثُرَت التَّوقيعات في هذا العَصرِ، ووصلَت إلينَا نَماذِج عَديدَة لتوقيعَاتِ الخلفاءِ الأمويينَ ووُلاتِهِم وأمرائِهم، كزيادِ بن أبيه، والحَجَّاج بن يوسف الثَّقفي؛ وذلِكَ لأنَّ الكتابَةَ بدأَت بالازدهارِ في هذا العَصرِ، وألفينَا رسائِلَ كثيرةً للخلفاءِ والأمراءِ والولاةِ، كما اتَّسعَت الفتوحات الإسلاميَّة واتَّسعَت معهَا حدودُ الدّولة ورُقعتها الجغرافيَّة، وبرزت الحاجة إلى الرَّد السَّريع المُوجز على المُكاتبَات والرَّسائِل، وكثرة الأعباء والمهام المنوطَة بولاة الأمر من الخلفاء والولاة والأمراء.

ومن التَّوقيعات في العصرِ الأمويّ توقيعُ معاويةَ بن أبي سُفيَان مفتخرًا: «نحنُ الزَّمانُ، مَنْ رفعنَاهُ ارتَفَع، ومن وضعنَاهُ اتَّضَع»[22]. ووقّع يزيدُ بن معاويَة في كتابِ مسلِم بن عقبة المُرّيّ الذي أخبرهُ فيه بما صنعَ في أهلِ الحرَّة: ﴿**فلا تَأْسَ عَلَى القَوْمِ الفَاسِقِيْنَ**﴾ [المائدَة: 26/5][23]. ووصلَت إلينَا توقيعَاتٌ كثيرَة لبني مروانَ، فهذَا عبدُ الملكِ بن مروان يوقّع في كتاب متنصِّح: «إن كُنتَ صادِقًا أثبناك، وإن كُنتَ كاذبًا عاقبنَاك، وإن شئتَ أقلْنَاك»[24]. ووقَّع في كتابٍ:

كيف يرجونَ سِقَاطي بعدما شَمِلَ الرَّأسَ مَشِيبٌ وصَلَعْ؟ [25]

ووقّع سليمانُ بنُ عبد المَلك جوابَ كتابٍ لقتيبة بن مُسْلم الباهليّ يتوعّده بالخَلْع، وقد حصلَ بينهما خلاف: ﴿**وإنْ تَصْبِرُوا وتَتَّقُوا لا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا**﴾ [سورة آل عمران: 120/3][26].

(22) خاصّ الخاص، ص127.

(23) العقد 207/4.

(24) خاص الخاص، ص128.

(25) العقد 208/4

ووصلتنَا توقِيعَاتٌ لعُمر بن عبد العَزيز، منهَا توقيعُهُ في رُقْعَةِ محبوسٍ: «تُبْ تُطْلَق». وفي رقعةِ امرأةٍ حُبِسَ زوجُها: «الحقُّ حَبَسَهُ»[27]. ووقَّعَ هشامُ بن عبدِ المَلكِ في قِصَّةِ مُتَظَلِّم: «أتاكَ الغَوْثُ إنْ كُنتَ صادِقًا، وحلَّ بِكَ النَّكالُ إنْ كنتَ كاذبًا، فتقدَّم أو تأخَّر»[28]. ووقّعَ يزيدُ بنُ الوليد إلى مروان بن محمّد، وقد تلكّأ في مُبايعته: «أراكَ تُقَدّمُ رِجْلاً وتُؤخِّرُ أُخرى، فإذا أتاكَ كتابي هذا فاعتمد على أيِّهما شئت»[29].

ومن توقيعات الولاة في العصر الأمويّ، توقيع زياد ابن أبيه، في قصّة محبوس: «التَّائب من الذَّنب كمَن لا ذنبَ له»، وفي قصّة رجلٍ شكا إليه عُقوق ابنه: «ربّما كان عقوقُ الولد من سوء تأديب الوالد»[30]. ووقّع الحجّاج بن يوسف الثَّقفيّ في قصّة مَحْبوسٍ ذكروا أنَّه تابَ: ﴿**مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ**﴾ [سورة التوبة:91/9][31].

6- التَّوقيعات في العصرِ العبّاسيّ:

وقد وصلت إلينا توقيعاتٌ كثيرة جدًّا في ذلك العصر، وقلنا إنّه العصر الذَّهبيّ لفنّ التَّرسُّل والكتابة الدِّيوانيّة، وفيه أضحى للتَّوقيع ديوانه الخاص، وقد توافر له كُتّابٌ أفذاذ بُلغاء من طرازٍ عزَّ نظيره، كان لهم أثرٌ كبير في تطوّر هذا الفنّ، وسنشير إلى بعضهم في السُّطور اللاحقة، زد على ذلك بلاغة الخلفاء العبّاسيّين وعمق ثقافتهم كأبي العبّاس السّفّاح وأبي جعفر المنصور الذي كان .كما يقول الجاحظ. : «داهيًا أريبًا، مُصِيبًا في رأيه سَدِيدًا، وكان مُقَدَّمًا في علم الكلام، ومُكْثرًا من كِتاب الآثار، ولكلامه كتابٌ يدور في أيدي الورّاقين، معروفٌ عندهم»[32]. وكذلك

(26) العقد 208/4.

(27) العقد 209/4.

(28) العقد 209/4.

(29) العقد 210/4.

(30) العقد 217/4.

(31) العقد 218/4.

(32) البيان والتبيين 367/3. وفي حاشية المحقق (6): كِتاب الآثار: كتابة.

هارون الرشيد وابنه المأمون. ثمّ ضعُف فنُّ التَّوقيع بعد العصر العبّاسيّ الأوّل، لجنوح الكُتّاب إلى التَّصنُّع والمُحسّنات اللَّفظيّة والتَّكلّف والمعاظلة. كما ضعُفت بلاغةُ الخلفاء كضَعْف حال كثيرٍ منهم، وضعف سياساتهم وحُكْمهم. ويمكن أن نقسم ما وصلنا من التَّوقيعات العبّاسيّة إلى قسمين:

أ. توقيعات الخلفاء:

وصلت إلينا توقيعاتٌ عديدة للخلفاء العبّاسيّين، ومن هذه التَّوقيعات(33) ما وقّع به أبو العبّاس السّفّاح إلى عاملٍ له، تُظلّم منه؛ إذ كتب إليه: ﴿**وما كُنْتُ مُتَّخِذَ المُضِلِّيْنَ عَضُدًا**﴾ [سورة الكهف: 51/18]. فهذه الآية الكريمة تُفيد عَزْلَ هذا العامل وإقصاءه عن عمله. وكذلك الآية التي وقّع بها المنصور إلى قومٍ تظلّموا من عاملهم: ﴿**لا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالمين**﴾ [سورة البقرة: 124/2]. وفي كتابٍ من صاحب الهند يخبره أنّ جندًا شَغبوا عليه، وكسروا أقفال بيت المال، فأخذوا أرزاقهم منه، وقّع المنصور: «لو عَدَلْتَ لم يَشْغَبُوا، ولو وفيت لم يَنْهَبُوا». ووقّع الرّشيد إلى صاحبِ خراسان: «داوِ جُرْحَكَ لا يَتّسع». ووقّع في قصّة البرامكة المعروفة: «أنبتتهم الطّاعةُ، وحَصَدتهم المعصيةُ». وفيه صورةٌ بديعة تبيّن أثرَ الطَّاعة للحاكم وأثرَ المعصية، في تقابلٍ طريف أو في صورةٍ ماديّة جميلة؛ إذ شبّه البرامكةَ بعد أن علا شأنُهم وذاع صِيتُهم بالنَّبات الوارف أو الزّرع الطيّب الموفور، ثمّ شبّههم بالزَّرع المحصود، بعد خيانتهم وسوء طويّتهم وما يدبّرون، وقد حذف المشبه به في كلتا الحالتين أو الصّورتين، وتركَ ما يشير إليه: أنبتتهم، وحصدتهم، على سبيل الاستعارة المكنيّة.

ووقّع المأمون في قصّة مُتظلّم من أخيه: ﴿**فإذا نُفِخَ في الصُّورِ فلا أَنْسَابَ بينهم يومئذٍ ولا يَتَسَاءَلُونَ**﴾ [المؤمنون: 101/23]. فالمأمون، من خلال هذه الآية الكريمة، يَعِدُ المُتظلّمَ أنّه سيقتصُّ له من أخيه ويُنصفه منه؛ لأنَّه يبرأ إلى الله من

(33) انظر: العقد الفريد 211/4-215. وفيه توقيعات كثيرة غيرها.

فعلِه، ويخاف يومًا لا ينفعه فيه إلاّ العمل الصَّالح والعدل المُنصف، وليس النَّسب وأخوّة الدَّم. ويبدو، من خلال هذه التَّوقيعات، رغبة الخلفاء في إنصاف المتظلّمين، وعَزْل الولاة الظّالمين، وضرورة إقامة العدل بين الرّعيّة.

ب . توقيعات الوزراء الكتّاب والولاة:

وقد برع فيها من الوزراء الكتّاب يحيى البرمكيّ وأولاده، ولا سيّما ابنه جعفر، فقد علا صِيتُه، وسطعَ نجمُه في هذا الميدان؛ إذ كان . كما يقول ابن خلدون . «يُوَقِّعُ في القِصص بين يَدَي الرّشيد، ويَرمي بالقصّة إلى صاحبها، فكانت توقيعاته يتنافسُ البُلَغَاءُ في تحصيلها؛ للوقوف فيها على أساليب البلاغة وفنونها، حتّى قيل: إنّها كانت تُباع كُلُّ قِصَّةٍ منها بدينار»[34].

وممّا يُفادُ من هذا القول الإشادة ببلاغة جعفر البرمكيّ أوّلاً، والقيمة الفنّيّة والجماليّة لفنِّ التَّوقيع ثانيًا. ومن توقيعاته أنَّ النّاس أكثروا من شَكَاةِ عاملٍ، فوقّع: «يا هذا، قد كَثُر شاكوك، وقلّ شاكروك؛ فإمّا اعْتَدَلْتَ، وإمّا اعْتَزَلْتَ». ووقّع في رقعة محبوس مُتظلّم: «العُدوان أوْبقه، والتّوبة تُطْلِقُه»[35].

ومن المشهورين بتوقيعاتهم أيضًا الفضل بن سهل ذو الرّياستين، فمن ذلك توقيعه في قصّة مظلوم: «كفى بالله للمظلوم ناصرًا»[36]. ووقّع لرجلٍ ولاّه: «لا تَجْعَلَنَّ توليتي إيَّاكَ نظرًا منّي لك، دون رجائي فيك، للكفاية والغَنَاء والنّصيحة، فتزلّ بك قَدَمٌ، تُورثك النَّدم». ووقع أيضًا: «إنّ أسرع النّيران التهابًا أسرعها خمودًا، فَتَأَنَّ في أمرك». ومن توقيعاته: «نِعْمَ الشَّفيعُ في بقاء النّعمة عليك حُسْنُ سيرتك، واعتمادُ الصِّيانة

(34) المقدّمة 261/1.

(35) العقد 219/4.

(36) العقد 220/4.

والعَفَاف، فَدُمْ على هذه الطّريقة تَبْقَ لك النّعمة، إن شاء الله تعالى»[37]. ولأخيه الحسن بن سهل توقيعات مشهورة بديعة، منها أنّ رجلاً من الشعراء كتبَ إليه:

رأيتُ في النَّوم أنّي راكبٌ فرَسًا وَلِي وَصِيفٌ، وفي كَفّي دَنانيرُ
فقالَ قومٌ لهم فَهْمٌ ومعرفةٌ رأيتَ خيرًا، وللأحلامِ تعبيرُ
رؤياكَ فَسِّرْ غدًا عند الأميرِ تجدْ في الحُلْمِ خيرًا، وفي النَّومِ التَّباشيرُ

فوقّع في أسفل كتابه ﴿**أضغاثُ أحلامٍ وما نحنُ بتأويلِ الأحلامِ بعالِمين**﴾ [يوسف: 44/12]. وأطلق له ما التمسه[38].

ولطاهرِ بنِ الحسين، قائدِ جيشِ المأمون وواليه على خُراسان، توقيعاتٌ بليغةٌ روتها المصادرُ، منها ما يكشف عن سياسته ومَنْهجه في المَنْع والعطاء، وتنفيذ أحكام الشّرع، وفي سياسة عمّاله؛ كتوقيعه في قصّة رجل، شكا أنّ بعض قوّاده نزل في دارٍ له، وفيها حُرَمُه: «إذا رأيته في ناحيةِ دارك فقد حَلَّ لك قتلُه». وفي قصّة قاتل: «لا يُؤخّر قَتْلُه». وفي قصّة مَحْبوس: «يُخْرَج ولا يُحْوَج». وفي قصّة لصّ: «يُنَفَّذُ حُكْمُ الله فيه». وفي قصّة قومٍ شَغَبوا على عاملهم: «الشَّغَبُ للفُرْقة سَبَبٌ، فلْتُمْحَ أسماؤهم، وتُحْسَنُ آدابُهم، وتُقْطَعُ بالنّفي آثارُهم»[39].

وكان ابنه عبد الله على شَاكلته في البلاغة وإجادة فنّ التَّوقيع؛ من ذلك أنّ أحدَ الخارجين على الدّولة، أهدى إليه هدايا كثيرةً نهارًا، فردّها عبدُ الله، فزاد فيها وردّها ليلاً مع رقعةٍ له، فردّها عبدُ الله مرّة أخرى، ووقّع في الرّقعة: «لو قَبِلْتُ هَدِيَّتَكَ

(37) البصائر والذّخائر، لأبي حيّان التوحيدي، تح: وداد القاضي، دار صادر، بيروت، ط1، 1408هـ/1988م، 127/2.

(38) العقد 221/4.

(39) كتاب بغداد، لابن طيفور أحمد بن أبي طاهر، تح: محمّد زاهد الكوثري، مكتبة الثَّقافة الإسلاميّة، 1368هـ/1949م، ص72،73.

ليلاً لَقَبِلْتُها نهارًا؛ ﴿**بَلْ أَنْتُمْ بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُون ۝ ارْجِعْ إليهم فَلَنَأْتِيَنَّهُمْ بِجُنُودٍ لا قِبَلَ لهم بها وَلَنُخْرِجَنَّهُمْ مِنْها أَذِلَّةً وهم صاغِرون ۝**﴾»[40].

7- التَّوقيعات في الأندلس:

عرفَ الأندلسيُّونَ فنَّ التَّوقيعاتِ، واحتفَوا بهِ، فهذا ابنُ عبدِ ربّه في كتابهِ العِقد ينقلُ طائفةً كبيرةً من توقيعاتِ أهلِ المشرقِ من الخُلفاءِ والوُلاةِ والأمراءِ من عصرِ الرَّاشدينَ إلى عصرِ العبَّاسيينَ، إلاّ أنَّ التَّوقيعات في الأندلسِ تأخّرت عن توقيعاتِ أهلِ المشرقِ؛ إذ إنَّ هذا الفنَّ نضجَ واستوى على سُوقهِ في العصرِ الأمويّ، وبلغَ الذُّروةَ والأوجَ في العصرِ العبَّاسيّ، ولعلَّ سَبَبَ تأخُّرِهِ يَكمنُ في انشغالِ الأندلسيّينَ بالفُتوحاتِ وإرساءِ دعائمِ الدَّولةِ، والانشغالِ بالصِّرعاتِ القبليَّةِ والعرقيَّة، فلا نكادُ نقعُ على توقيعاتٍ لَهُم إلاَّ في عصرِ الإمارةِ الأمويَّةِ (138-316هـ) وما بعدهَا في عصرِ الخلافةِ (316-422هـ)، ثُمَّ في زَمنِ ملوكِ الطّوائفِ في القرنِ الخامسِ الهجريّ، ثُمَّ في عصرِ المُرابطينَ أواخر القرنِ الخامسِ ومطالعِ القرنِ السّادسِ، ثُمّ في عَصرِ المُوحّدينَ، وُصولاً إلى عصرِ بني الأحمرِ في غرناطَة، وسُقوطِ الحُكمِ الإسلاميّ فيها سنةَ (897هـ/1492م).

وقد انبثَّت توقيعاتُ أهلِ الأندلسِ في مصادرِ الأدبِ وَكُتبِ التَّواريخِ، مثل نفحِ الطِّيب للمقّريّ التّلمسانيّ، والمُقتبس لابنِ حيَّان القُرطبيّ، والقِدْحِ المُعلّى لابنِ سَعيد، وغيرها. وأكثرها في كتابِ نفحِ الطِّيب، إلاَّ أنَّ عددها يُعَدّ قليلاً جدًّا بالقياسِ إلى توقيعاتِ المشارقَة.

وقد عُنيت بعضُ المصادرِ المشرقيَّة بالتَّوقيعاتِ الأندلسيَّة أكثر من المصادرِ الأندلسيَّة نفسِها، التي عُنيت بالتَّوقيعاتِ المَشرقيَّة، كَعادَةِ الأندلسيّينَ عامّةً؛ إذ ظلَّ اهتمامُهم بِكُلِّ ما يَصدر عن أهلِ المَشرقِ من نتاجٍ أدبيّ أو فكريّ كبيرًا، وكأنّه المَثَلُ الأعلى والنّموذج الأكمل في البلاغة والبيان. يقول ابنُ بسّام الشّنْتريْنيُّ (ت 542هـ) عن ذلك في مقدّمة كتابه (الذَّخيرة في محاسن أهلِ الجزيرة): «إلاّ أنَّ أهلَ هذا الأفق

(40) المصدر نفسه، ص83. وخاص الخاص، ص 133. والآيتان من سورة النمل 27/36-37.

[الأندلس] أبَوْا إلاّ مُتابعةَ أهلِ الشَّرقِ، يرجعون إلى أخبارهم المُعتادة، رجوعَ الحديث إلى قَتَادة، حتّى لو نعَقَ بتلك الآفاق غُراب، أو طَنَّ بأقصى الشَّام والعراق ذُباب، لَجَثَوْا على هذا صنمًا، وتَلَوْا ذلك كتابًا مُحْكَمًا...وليتَ شعري مَن قصر العلمَ على بعض الزَّمان، وخَصَّ أهلَ المشرقِ بالإحسان»[41].

ومن كُتبِ أهلِ المَشرقِ التي عُنيت بالتَّوقيعاتِ الأندلسيَّة كتابُ وَفَياتِ الأعيَان لابنِ خِلّكان، وكتاب نهاية الأرب للنّويريّ، والوافِي بالوَفيات لصلاحِ الدّين الصَّفدي.

ومن أوائل ما وصلَ إلينا من توقيعاتِ الأندلسيّينَ بضعةُ توقيعاتٍ لبعدِ الرَّحمن الدّاخلِ، الذي قيلَ فيهِ إنَّهُ كانَ «فصيحًا بليغًا حَسَنَ التَّوقيع». وكذا الحالُ بالنسبةِ لمن خلفَهُ من أُمراء بني أميّة ،إلاّ أنَّ ما وصلَ إلينَا من أخبارٍ عن بلاغةِ توقيعاتِ بعضِهم وشُهرَتِهم بهذا الفنّ قليلٌ جدًّا، ممّا يُؤكِّد ضَياعَ كثيرٍ منها؛ إمّا لضياعِ مصادرها، أو لقلّة عنايةِ الأندلسيّينَ بتدوينِها، قياسًا بالشِّعرِ والرَّسائلِ التي استحوذَت على عنايتِهم.

والرَّاجح أنَّ عصرَ بني أميّة في الأندلس كانَ عصرَ ازدهارِ فنِّ التَّوقيعاتِ في فترتي الإمارَة (138–316هـ)، وفي الخلافةِ (316–422هـ)، وهو يُعادِلُ نَصفَ ما وصلَ إلينا من مجموعِ التَّوقيعات الأندلسيَّة مُجتمعَةً[42].

ومن توقيعاتهم توقيعُ عبد الرحمن الناصر (ت 350هـ) على كتاب معدّ بن إسماعيل الشِّيعيّ أمير إفريقية، وقد أفحشَ فيه السَّبَّ، وكانت بينهما مناظرة، فوقّع

(41) الذخيرة، علي بن بسّام الشّنتريني، تح: د.إحسان عبّاس، دار الثقافة، بيروت، 1417هـ/1997م، القسم الأول 12/1.

(42) انظر: التَّوقيعات الأندلسيّة، نشأتها وتطوّرها في العصر الأندلسي، للكاتب رفيع أحمد، مقال على شبكة الانترنت.

الناصرُ على كتابه: «يا هذا عرفْتَنا فَسَبَبْتَنا، وجَهِلناكَ نحنُ فأمْسَكْنا عنكَ»[43]. ومن الواضح أنَّه قابلَ بين الجملتين ممّا أدى الغرضَ الذي قصَدَه الناصرُ من توقيعه الذي جاء على غاية من البلاغة والبيبان.

ومنها أيضًا توقيعٌ للمُستعينِ باللهِ سُليمان بن الحَكَمِ بن سُليمان بنِ عبد الرَّحمنِ النَّاصِر (ت407هـ)؛ إذ «رَفعَ إليهِ بعضُ خَدَمهِ مُعتذرًا، فوقّع لهُ على ظَهرِ كتابهِ:

قَرَأنَا ما كَتَبْتَ بهِ إلينَا وَعُذْرُكَ واضِحٌ فيما لَدينَا
وَمن يَكُنِ القَريضُ لَهُ شَفيعًا فتركُ عتابهِ فرضٌ علينا»[44]

ومن الواضحِ أنَّ كتابَ المُعتذرِ كانَ شعرًا، الأمر الذي أسعدَ المُستَعينَ، فَقبِلَ عُذرَهُ، وتَرَكَ عتابهُ، وكان القريضُ خيرَ شَفيعٍ لهُ، لتقديرِ المُستعينِ قيمةَ الشّعرِ وسُموّ رسالتهِ.

ومن طريفِ التَّوقيعاتِ الأندلسيَّة توقيعٌ نقديّ للشاعرِ عبدِ اللهِ بن سَعيد السّلمانيّ، والد الشَّاعرِ لسان الدّين بن الخَطيبِ؛ إذ وقَّع يومًا بخَطّهِ على ظهرِ أبياتٍ بعثَ بها لسانُ الدّين إليهِ:

وَرَدَتْ كما صَدَرَ النّسيمُ بسَحْرةٍ عَن روضَةٍ جادَ الغمامُ رُباهَا
وكأنّما هاروتُ أودَعَ سِحْرَهُ فيهَا وآثرهَا بهِ وحَبَاهَا
مصقولةُ الألفاظِ يُبْهِرُ حُسْنُهَا فَبِمثلِهَا افتخرَ البَليغُ وباهَى
فَقَرَرْتُ عَيْنًا عندَ رؤيَةِ حُسْنِهَا إنّي أبوكَ، وكُنتَ أنتَ أباهَا[45]

(43) التَّوقيعات الأندلسيّة في عصر الخلافة (316–422هـ)، د.أحمد عطية، مجلّة كليّة اللّغة العربيّة بإيتاي البارود، العدد 35، الإصدار الأوّل، 1443هـ/2022م، ص788، نقلاً عن الزهرات المنثورة 69/2.

(44) الحلّة السّيراء، لابن الأبّار محمد بن عبدالله بن أبي بكر القضاعيّ، تح: حسين مؤنس، دار المعارف بمصر، ط2، 1985م، 11/2.

(45) نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، للمقّريّ، تح: إحسان عبّاس، دار صادر، بيروت، 1388هـ، 17/5.

ومن البَيّن مَدى تأثيرِ أبياتِ لسانِ الدّينِ في نَفسِ والدهِ وإعجابهِ بها وبصَقْلِ ألفاظِهَا، وورودِها إليهِ كما يَرِدُ النَّسيمُ العَليلُ على الرَّياضِ، وشبّه سِحْرَهَا بسِحْرِ هاروتَ، وقد تناصّ مع بيتِ بشَّار بن بُرد المشهور:

وكأنَّ تحتَ لسانِهَا هاروتَ يَنْفُثُ فيهِ سِحْرا

وفي عصر بني الأحمر نطالع توقيعًا طريفًا لمحمّد بن محمّد بن يوسف بن نصر ثاني ملوك بني الأحمر (ت701هـ) على رُقعة شخصٍ كان يطلب التَّصريف في بعض الشَّهادات (الوظائف) ويُلحّ عليها:

يموتُ على الشَّهادةِ وهو حيٌّ إلهي لا تُمِتْهُ على الشَّهاده

وأطال الخطَّ عند كلمة إلهي إشعارًا بالضَّراعة في الدُّعاء[46]. وهذا التَّوقيع جمعَ إلى الإيجاز التَّورية في كلمة الشَّهادة، والسُّخرية الواضحة من هذا الذي يلحّ في هذا الطّلب، والدُّعاء بضراعةٍ إلى الله بأن لا يموت على الشَّهادة التي يرجوها كلُّ مسلم. فضلاً عن ذكاء السُّلطان، وحُسْن تدبيره لشؤون سُلطانه، في رفض طلبه لتولّيه تلك الوظيفة.

8- من سمات التَّوقيعات:

التَّوقيع يحتاجُ إلى مَهَارة في السّياسة والإدارة، فضلاً عن قوّة التّعبير. يقول ابنُ خلدون: «واعلم أنّ صاحبَ هذه الخُطَّةِ، لا بُدَّ من أن يُتَخَيَّرَ من أرفع طبقات النّاس، وأهلِ المروءة والحِشْمَةِ منهم، وزيادةِ العلم وعارضة البلاغة؛ فإنّه مُعَرَّضٌ للنّظر في أُصُولِ العِلم، لما يَعْرِضُ في مجالس المُلُوكِ، ومقاصدِ أحكامِهم، من أمثال ذلك ما تدعو إليه عِشْرَةُ الملوكِ من القيام على الآداب، والتّخلُّق بالفضائل، مع ما

(46) التَّوقيعات الشعريّة في الأندلس، د.محمود صبحي سيد أحمد شاهين، حولية كلية اللغة العربية بنين بجرجا، جامعة الأزهر، العدد 24، الجزء الثاني عشر، 1442هـ/2020م، ص11562. وبيت الشعر ليس للسلطان محمّد بل لغيره.

يُضْطَرُّ إليه في الترسيلِ، وتطبيق مقاصدِ الكلام من البلاغة وأسرارها»[47]. ولذا كان ثمّة احتفاء بالتَّوقيعات؛ لما تتميّز به من قيمة بلاغيّة عالية، وسرعة بديهة في اتّخاذ القرار. وقد كانت توقيعاتهم آية قرآنيّة، أو حديثًا نبويًّا، أو مَثَلاً سائرًا، أو بيتًا شعريًّا، أو إبداعًا ذاتيًّا من عند الكاتب.

ومن التَّوقيعات بآية قرآنيّة توقيع السّفّاح إلى قومٍ شَكَوا غَرَقَ ضياعهم في ناحية الكوفة، فكتب: ﴿**وقيل: بُعْدًا للقومِ الظَّالمين**﴾ [48]. ووقّع الفضلُ بن سهل في قصّة قومٍ قطعوا الطّريق: ﴿**إنّما جَزَاء الذينَ يُحارِبُونَ الله ورسُولَهُ، وَيَسْعَوْنَ في الأَرْضِ فَسَادًا، أَنْ يُقَتَّلُوا أو يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أيديهِم وأَرْجُلُهُم من خِلافٍ أَوْ يُنْفَوا مِنَ الأَرْضِ، ذلك لهم خِزْيٌ في الدُّنيا، ولَهُمْ في الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيم**﴾[49].

ومن التَّوقيعات **بآية قرآنية** تناسب الموضوع الذي تضمّنه الطّلب، أو اشتملت عليه القضية ما ذُكر من أنّ أبا محمّد الحسن بن محمّد المهلبيّ وزير مُعزّ الدّولة أبي الحسين أحمد بن بُويه الدّيلميّ، كان قبل اتّصاله بمُعزّ الدّولة وتقلّده مَنْصب الوزارة، يعاني من قلّة ذات اليد وشدّة الفَقْر وضيق الحال. وسافر في بعض الأيّام مع رفيقٍ له، أديبٍ من أهل الأسفار، (يقال له: أبو عبد الله الصّوفيّ، وقيل: أبو الحسين العسقلانيّ)، ولكنَّه لقيَ في سَفَرِهِ هذا مَشقّةً ونَصَبًا، فلا زادَ معه ولا مال. ونزلَ مع رفيقه في بعض الأماكن واشتهى اللّحم، فلم يجد ثمنَه، فأنشدَ ارتجالاً، ورفيقه يسمع:

ألا مَوْتٌ يُبَاعُ فأشْتَريــهِ فهذا العيشُ ما لا خيرَ فيهِ
ألا مَوْتٌ لذيذُ الطّعمِ يأتِي يُخلِّصُني من العيشِ الكريهِ
إذا أبصرْتُ قبرًا من بعيدٍ ودِدْتُ لوَ انَّني مما يليهِ
ألا رَحِمَ المهيمنُ نَفْسَ حُرٍّ تصدَّقَ بالوفاةِ على أخيهِ

(47) المقدّمة 261/1.
(48) العقد الفريد 211/4. والآية من سورة هود: 44/11.
(49) العقد 220/4. والآية من سورة المائدة: 33/5.

فتأثّر رفيقُه بالأبيات ورثى لحاله، ورقّ له، فاشترى له بدِرْهمٍ لحمًا، وأعدّه وقدّمه إليه، وتفرّقا. ثمّ تتابعتِ الأيّامُ، وتغيّرت الأحوالُ، وحسنت حالُ المهلبيّ، وتولّى الوزارة ببغداد لمعزّ الدّولة البويهيّ. وضاقت الحالُ برفيقه في السّفر الذي اشترى له اللّحم، وحقّق له رغبته، وآل به الأمرُ إلى أن جلس على بِسَاط الفقر والفَاقة. وبلغه تولّي المهلبيّ الوزارة، فشدّ الرّحال وقصده في بغداد، فلمّا بلغه كتب إليه رُقْعَةً تتضمّن أبياتًا، منها:

ألا قُلْ للوزير فَدَتْهُ نَفْسِي مَقَالَ مُذَكِّرٍ ما قد نَسِيهِ
أتذكرُ إذ تقولُ لضَنْكِ عَيْشٍ (ألا مَوْتٌ يباعُ فأشتريهِ)

فلمّا قرأ المهلبيّ الأبيات تذكّر صحبةَ رفيقه، وفَضْلَه عليه، وهزّته أريحيّةُ الكرم ورعايةُ حقّ الصّحبة، وردُّ الفضل لأهله والمعروف لمستحقّيه؛ فأمرَ له بسبعمئة درهم، ووقَّع في رقعته: ﴿**مثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهمْ فِي سَبِيلِ الله كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِّئَةُ حَبَّةٍ وَالله يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاء**﴾ [البقرة: 261/2]. ثمّ دعاه وأكرمه، وقَلّده عملاً مناسبًا[50]. وتوقيع الوزير جاء مُوافقًا لمُقتضى الحال، فرفيقه في السَّفر أعطاه درهمًا في سبيل الله، فأعطاه هو سبعمئة درهم. ومن التَّوقيعات ما ضمّنها صاحبها آية قرآنيّة تناسب المقام؛ كما في توقيع للصاحب بن عبّاد، أفاد فيه من معنًى أراده؛ إذ وقّع في قصّة رجلٍ من آل عليّ كان قد رفع إليه قصّةً بعد قصصٍ أبرم فيها، فكتب «لا تُحْوجني إلى أن أقولَ: ﴿**يا نُوحُ إنَّهُ ليسَ من أهْلِكَ**﴾، والسلام»[51].

ومن التَّوقيعات ببيتِ شِعْرٍ، توقيعُ عبدِ المَلك بنِ مروان في كتابِ عبد الرَّحمن بن الأشعث:

(50) وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزَّمان، لابن خلِّكان شمس الدِّين أحمد بن محمَّد: تح: إحسان عبّاس، دار صادر، بيروت، د.ت، 124/2-125.

(51) خاصّ الخاص، ص138. والآية من سورة هود: 46/11.

فما بالُ مَنْ أسْعَى لأَجْبُرَ عَظْمَهُ حِفَاظًا، ويَنْوي من سَفاهتِه كَسْري؟[52]

وتوقيعُ سليمانَ بنِ عبدِ المَلِك في كتابٍ وَصَلَهُ من قتيبَة بنِ مُسْلِم الباهِلِيّ، يتهدَّدُه بالخَلْع:

زَعَمَ الفرزدَقُ أَن سَيقتلُ مرْبعًا أبشِر بطُولِ سلامَةٍ يا مرْبَعُ [53]

ورفعَ رجلٌ إلى جعفرٍ البرمكيّ رقعةً يسألُه الاستعانةَ به، وكان جعفرٌ يعرِفُه ويَخْبرُه، فوقّعَ:

قَدْ رأيناكَ فمَا أَعْجَبْتَنَا وبَلَوْناكَ فلمْ نَرْضَ الخَبَر[54]

وقد يُورد المُوقّع شعرًا في أطواء كلامه، أو بعده، فيطرّز النَّثر بالشِّعر، في مُجانسةٍ بديعة، تتناسب ومقتضى الحال؛ كتوقيع يوسف بن تاشفين (ت 500هـ) أمير المُرابطين في كتابٍ جاءه من ألفونسو السادس ملك قشتالة؛ إذ وقّع: «الجواب ما ترى لا ما تسمع»، وأردف قوله ببيت المتنبيّ:

وَلا كُتُبَ إلاّ المَشْرَفِيَّةُ والقَنَا وَلا رُسُلٌ إلاّ الخَميسُ العَرَمْرَمُ[55]

ومرّت بنا آنفًا بعضُ التَّوقيعات بمَثَلٍ أو حِكْمةٍ أو حديثٍ نبويّ أو إبداع من لدن الكاتب أو الموقّع، وأغلبُها عباراتٌ مُوجزة، لا تزيد في طولها على سَطْرٍ واحد،

(52) العقد 207/4

(53) العقد 208/4. والبيتُ لِجَرير.

(54) الوزراء والكتّاب، ص205. ووفيات الأعيان 346/1.

(55) نفح الطيب، للمقريّ التلمساني، تح: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 102/3، إحكام صنعة الكلام، محمد بن عبد الغفور الكلاعيّ، تح: د.محمد رضوان الداية، دار الثقافة، بيروت، 1966م، ص160–166. وانظر شرح ديوان المتنبي، عبد الرحمن البرقوقي، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، د.ت، ص1226. وفيه: (ولا كُتُبَ إلاَّ المَشْرَفِيَّة عنده...). المَشرفيّة: السيوف، الخميس: الجيش، العرمرم: الكثير.

ومنها ما لا يتعدّى الجملة أو الجملتين، من مثل توقيع طاهر بن الحسين في قصّة مُسْتجير: «أنا جارُه»، وفي قصّة ساعٍ: «لا يُلتفت إليه»[56]. ومنهم مَنْ يبسط القول في توقيعه، فيبلغ به بضعة أسطر؛ كما في توقيع الفضل بن سهل في رُقْعة سَاعٍ؛ إذ كتب إليه: «نحن نرى قَبُولَ السِّعاية شرًّا منها؛ لأنّ السّعاية دِلالةٌ، والقَبُول إجازة، وليس مَنْ دَلّ على شيءٍ وأَخْبر به، كمَنْ قَبِلَه وأجازه؛ فاتّقوا السَّاعِيَ؛ فإنّه لو كان في سِعَايته صادقًا، لكان في صِدْقه آثمًا؛ إذ لم يحفظِ الحُرْمَة، ولم يَسْتر العَوْرَة»[57].

وأيًّا ما كان، فإنّ التَّوقيع ـ كما يقول القلقشنديّ ـ «أمرٌ جليل، ومَنْصبٌ حَفيل؛ إذ هو سبيل الإطلاق والمنع، والوَصْل والقَطْع، والولاية والعَزْل، إلى غير ذلك من الأمور المهمّات والمتعلّقات السَّنيَّة. واعلم أنَّ التَّوقيع كان يتولاّه في ابتداء الأمر الخلفاء؛ فكان الخليفة هو الذي يُوقّع في الأمور السّلطانيّة، وفَصْل المظالم، وغيرها»[58]. فلمّا اتّسع المُلك كان الخلفاء يوقّعون بأنفسهم حينًا، ويتركون ذلك لكُتّابهم حينًا آخر.

أضف إلى ذلك أنّ التَّوقيع فنٌّ أدبيٌّ عِمادُه الإيجاز، وإصابة المعنى، ولطف الإشارة، وجمال الصّورة، وحضور البديهة، وسَعة الثّقافة. ومن هنا تكمن قيمته الفنّيّة والجماليّة؛ إذ (البلاغة في الإيجاز) كما يُقال.

* * *

ـ المصادر والمراجع ـ

ـ القرآن الكريم.

(56) كتاب بغداد، ص73.

(57) زهر الآداب وثمر الألباب، للحصري القيرواني، تح: علي البجاوي، دار إحياء الكتب العربيّة، القاهرة، ط1، 1372هـ/1953م،303/1.

(58) صبح الأعشى 145/1-146.

1. إحكام صنعة الكلام، محمد بن عبد الغفور الكلاعيّ، تح: د.محمد رضوان الداية، دار الثقافة، بيروت، 1966م،

2. أدب الكتّاب، لأبي بكر محمد بن يحيى الصوليّ، عُني بتصحيحه: محمد بهجة الأثري، المكتبة العربية ببغداد، 1341هـ.

3. البصائر والذّخائر، لأبي حيّان التوحيدي، تح: وداد القاضي، دار صادر، بيروت، ط1، 1408هـ/1988م.

4. كتاب بغداد، لابن طيفور أحمد بن أبي طاهر، تح: محمّد زاهد الكوثري، مكتبة الثَّقافة الإسلاميّة، 1368هـ/1949م.

5. البيان والتّبيين، للجاحِظ عمرو بن بحر، تح: عبد السلام هارون،، مكتبة الخانجي بالقاهرة، 1418هـ/1998م.

6. التَّوقيعات الأندلسيّة في عصر الخلافة (316-422هـ)، د.أحمد عطية، مجلّة كليّة اللّغة العربيّة بإيتاي البارود، العدد 35، الإصدار الأوّل، 1443هـ/2022م.

7. التَّوقيعات الأندلسيّة، نشأتها وتطوّرها في العصر الأندلسي، للكاتب رفيع أحمد، مقال على شبكة الانترنت.

8. التَّوقيعات الشعريّة في الأندلس، د.محمود صبحي سيد أحمد شاهين، حولية كلية اللغة العربية بنين بجرجا، جامعة الأزهر، العدد 24، الجزء الثاني عشر، 1442هـ/2020م.

9. الحلّة السّيراء، لابن الأبّار محمد بن عبدالله بن أبي بكر القضاعيّ، تح: حسين مؤنس، دار المعارف بمصر، ط2، 1985م.

10. الحيوان، للجاحِظ عمرو بن بحر، تح: عبد السلام هارون، مكتبة مصطفى البابي الحلبي وشركاه بمصر، ط2، 1385هـ/1965م.

11. خاصّ الخاص، عبد الملك الثعالبيّ، علّق عليه: مأمون الجنان، دار الكتب العلمية، بيروت، 1414هـ/1994م.

12. الذّخيرة، علي بن بسّام الشّنتريني، تح: د.إحسان عبّاس، دار الثقافة، بيروت، 1417هـ/1997م.

13. رسائل البُلغاء (اختيار وتصنيف: محمّد كرد علي)، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ط3، 1365هـ/1946م.

14. زهر الآداب وثمر الألباب، للحصري القيرواني، تح: علي البجاوي، دار إحياء الكتب العربيّة، القاهرة، ط1، 1372هـ/1953م.

15. شرح ديوان المتنبي، عبد الرحمن البرقوقي، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، د.ت.

16. صُبح الأعشى في صناعة الإنشا، أحمد بن علي القلقشندي، شرحه وعلّق عليه وقابل نصوصه: محمّد حسين شمس الدِّين ويوسف علي طويل، دار الكتب العلميّة، بيروت، د.ت. (وهي المرادة عند الإطلاق). وطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة، 1340هـ/1922م.

17. كتاب الصّناعتين، لأبي هلال العسكري، تح: علي البجاوي ومحمّد أبو الفضل إبراهيم، عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة، ط1371،1هـ/1952م.

18. العقد الفريد، لأبي عمر أحمد بن محمّد بن عبد ربّه الأندلسيّ، شرحه وضبطه: أحمد أمين وأحمد الزين وإبراهيم الأبياري، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ط2، 1363هـ/1944م.

19. لسان العرب، لابن منظور محمّد بن مكرّم: دار صادر، بيروت، ط3، 1414هـ/1994م.

20. المَثَل السّائر في أدب الكاتب والشاعر لضياء الدِّين بن الأثير، تح: أحمد الحوفي وبدوي طبانة، مكتبة نهضة مصر، القاهرة، ط1، 1379هـ/1959م.

21. مقدّمة ابن خلدون، عبد الرَّحمن بن خلدون، تصحيح وفهرسة: السعيد المندوه، مؤسسة الكتب الثَّقافيّة . بيروت، المكتبة التجاريّة . مكّة المكرمة، ط3، د.ت.

22. نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، للمقّريّ التلمساني للمقّريّ، تح: إحسان عبّاس، دار صادر، بيروت، 1388هـ.

23. النُّكَت في إعجازِ القرآن، لأبي الحسن الرُّماني، تح: محمد خلف الله أحمد، محمد زغلول سلام، دار المعارف، مصر، ط3، 1976م.
24. كتاب الوزراء والكتّاب، لمحمّد بن عبدوس الجهشياري، تح: مصطفى السقّا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ شلبي، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، القاهرة، ط1، 1357هـ/1938م.
25. وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزَّمان، لابن خلِّكان شمس الدِّين أحمد بن محمَّد: تح: إحسان عبّاس، دار صادر، بيروت، د.ت.

The Brevity & Miraculousness in The Arabic Language

The Art of Signatures (Al- Tawqia'at)

Dr. Qahtan Saleh Al-Falah

Department of Arabic Language and Literature, College of Arts and Humanities, Al Furat University

Abstract

The Art of Signatures (Al- Tawqia'at) is a written literary genre not orally narrated genre. It is characterized by Brevity , Rhetoric's ، cohesion , coherence and the depth of meanings. It is a comment on formal letters (Diwaniya) according to their purposes. It emerged in the Islamic Literature. It was also used in the Umayyad Literature, but was adopted mostly during The Abbasied Literature due to the abundance of formal writings at that time. It was a good example to be followed in Brevity and Rhetoric's to the extent that some of written pieces of this

art were even sold at that time. The sources of literature have shown us a great number of books as best examples of (Tawqia'at) such as The unique necklace book (al-ʻIqd al-Farīd) by Ibn Abd Rabbih, khas al -khas by Al-Tha'alibi, and Subh al-aʻsha by Book by Al-Qalqashani and many other literary works. This research shows the emergence Art of Signatures, its important figures, some of its samples , and some of its characteristics and artistic techniques.